إشكالية الكلية الاجتماعية للمجتمعات العربية

دكتور / احمد النكلاوى *

مقدمة :

فى شهر يناير عام ١٩٨٢ استدعانى عميد كلية التربية جامعة الفاتح طرابلس ليبيا الدكتور / صلاح زارم — فى هذا الوقت — الى مكتبه وابلغنى ان امانة الجامعة (مجلس الجامعة) بسبيل عقد لقاء علمى موسع يتناول بالدراسة المجتمع العربى من مختلف ابعاده سعيا الى اهم مشكلاته وتحدياته الاساسية باسلوب علمى موضوعى ، وانه طلب من الكليات المختلفة للجامعة ترشيح من تراه للمساهمة بورقة علمية حول واحد من الابعاد المتصلة بالمجتمع العربى ، وانه يرشحنى لتقديم ورقة اساسية لهذا اللقاء الموسع .

ولا اخفى انه بالقدر الذى شعرت به بسعادة غامرة بترشيح الكلية لى للمساهمة فى هذا اللقاء بالقدر الذى ساورنى القلق من امرين : اولهما هل هناك املاء لأى توجه مسبق يتعين أن تلتزم بمنظوره الورقة المقدمة ، ام ان اختيار التوجه ورؤية التصور للموضوع متروكة لحرية الباحث . وثانيهما اى القضايا يمكن ان تكون ذات شان او دور اثرائى فى هذا اللقاء ، وساحة الكتابة حول المجتمع العربى تعالج بالمئات والقضايا والمعالجات التى تكاد تكون نسخا مكررة بعضها من البعض الآخر .

ولقد سارع الدكتور / صلاح زارم عندما عبرت له عما يقلقنى فى هذا المجال ، مؤكدا انه ليس هناك اى توجه مسبق مملى على الباحث الا توجهه كباحث عربى نحو مجتمعه العربى من المحيط الى الخليج . وفيما يتعلق بالقضية التى تعالج فهى متروكة لحرية الباحث على أن يتناغم فيما مع توجه اللقاء من حيث تركيزه على الاشكاليات والتحديات الاساسية للمجتمع العربى .

(*) استاذ علم الاجتماع المساعد — كلية الآداب — جامعة القاهرة .

كان لقائى بعميد الكلية بمثابة مصدر الهام ، أو بعث لاهتمام بتوجه جديته فى دراساتى التى حصلت بها على درجتى الماجستير والدكتوراه التى انصبت على بعض القضايات القومية التى تخص المجتمع المصرى كمجتمع عربى . ولقد تنامى هذا التوجه لدى باعتبارى واحدا من أبناء جيل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ الذين صاغت تنشئتهم منذ نعومة أظفارهم قيام هذه الثورة واعلان مبادئها .

الى هذا اللقاء ادين بالفضل فى صياغة فكرى ، وبعث اهتمامى بمتابعة دراسة بعض اشكاليات المجتمع العربى او بمعنى ادق انسانه بعد ذلك ، كما انى ادين بالفضل أيضا الى بعض الكتابات الرصينة الجادة التى صاغت تصوراتى عن المجتمع العربى وجسدت الدليل على أن التفاعل العلمى مع قضايا هذا المجتمع هو صمام الامان الوحيد لتجاوز علل ازماته وصورها . كما انى ادين بالفضل ايضا الى سعادة الدكتور / محمد صفى الدين ابو العز رئيس معهد البحوث والدراسات العربية الذى له الفضل فى اتاحة الفرصة امام هذه الدراسة للخروج الى النور مقرونة علها يكون فيها بعض الرجاء .

« والله من وراء القصد يهدى السبيل »

القسم الاول

موضوع الدراسة واهدافها ومداخلها

من البديهى ان أول خطوة تفرض نفسها فى اطار العملية العلمية البحثية هى اختيار وتحديد موضوع الدراسة . ويتحدد الموضوع الذى نتصدى له بالمعالجة فى هذا المجال فى اشكالية الكلية الاجتماعية للمجتمعات العربية : رؤية تصورية فى ضوء مفهوم التجانس النسبى . وقد اعتمد تحديدى لهذا الموضوع وعلى هذا النحو على مداخل معرفية ثلاثة هى :

الاول – ان رؤية المجتمع العربى من المحيط الى الخليج يفرض توظيف المدخل الكلى الشمولى فى علم الاجتماع اى المدخل الماكروسكوبى ، وهو المدخل الذى يساعد على تقديم فهم شمولى بانورامى تركيبى للمجتمع العربى باعتباره نسقا كليا يتركب من عدد من الاشكال الاجتماعية الفرعية(المجتمعات العربية) . ومن ثم فان طبيعة هذا المدخل ليست طبيعة سكونية استقرارية

تقوم على تعداد ووصف عوامل أو ظواهـر الوحدة أو التنوع القائمة بين هذه الاشـكال المتعددة التى تؤلف الكلية الاجتماعية للمجتمع العـربى ، انمـا هى طبيعة دينامية تفاعلية تستند الى تكامل الاجزاء ورؤيتها فى حالى تداخلها وعضونتها وما يفرزه هذا التداخل من مشخصات أساسية تسم الكليـة الاجتماعية برمتها وبشـكل عـام .

الثانى ـ ان رصد اشكاليات المجتمع العربى يتسق مع التوجه المعاصر لعلم الاجتماع اليوم الذى يعنى اساسا بالكشف عن القوى والابعاد غـير الظاهرة Non-Obvious المسئولة عن صور التوتر والصدع والانحـراف والاغتراب داخل البنيات الاجتماعية المختلفة فقيرها وغنيها بفعل المتغيرات العديدة الداخلية والعالمية التكنولوجيـة والقيمية السياسية والاقتصادية، العرقية والاثنية .. الخ ، التى لم يسلم من آثارها مجتمع من المجتمعات .

ومن ثم فان التوجه فى علم الاجتماع الى رصد مشكلات الانسان ومجتمعه بدلا من مواصلة الجدل العقيم حول بعض الاطروحات النظرية التى قد تفتقر فى جوهرها الى الدليـل الامبريقى الذى ينهض على تأكيد صدقها او مخاطئة مصادراتها ـ مؤداه ركون الى الواقـع الحى أو بمعنى ادق نزولا اليـه ومعايشته . ولعل ذلك ما حدا ببعض رجال علم الاجتماع الى دعوة زملائهم الى ضرورة النزول بعلمهم الى الواقـع بدلا من التقولب فى ابراجهم العاجية ونادوا بما اسموه علم اجتماع الواقـع *Down to Earth Sociology

الثالث ـ ان الدراسة العلمية للمجتمع العربى فى وطننا من المحيط الى الخليج يتعين أن تتخلص من التقولب الضـيق فى نطاق رؤية اقليمية أو سياسية محددة ، وهو التقولب الذى يفقـد العمـل رونقه وموضوعيته . ويقحمه فى حلبة من التراشق والصراع (يستمتع الآخـرون بمشاهدتنا فى حلبته ... ولن يطلق سراحنا ـ كما يذهب ـ الدكتور صلاح قنصوه ـ من هذا المجلـد الرومانى ، الا اذا شرعنا فى اعادة تعريف الواقع وتحـديد مشكلاته ومواجهته بالوعى وجساره الالتـزام) (١ ـ صلاح قنصـوه ، ص ١٢٥) .

ويتلافى هذا التوجه المعرفى العام الذى يجـمع عليه المشـتغلون

(*) See : Henslin, James M. — Down to Earth Sociology Introductory Readings, N.Y., The Free Press, 1981,

وانظر ايضا ، الحوات ، على والنكلاوى ، احمد : علم الاجتماع مدخل لدراسة المشكلات الاجتماعية ، طرابلس ، منشورات جامعة الفاتح ، ١٩٨٢ صفحات ٤٤ ـ ٤٦ .

باشكاليات علم الاجتماع المعاصر ومن بينها اشكالية الكتابة والبحث فى هذا العلم ، وهو ضرورة تخليص رصد هذا العلم للواقع المجتمعى من التحيزات الضيقة المعصوبة العينين ، خاصة وقد عكس هذا العلم كما يذهب الدكتور / عبد الباسط عبد المعطى فى مقاله (فى بعض قضايا التراث رؤية سسيولوجية) على مستوى التنظير والبحوث ، الصراع الاجتماعى بعامة والصراع الطبقى بخاصة . كما استخدم من بين أساليب ادارة الصراع وحسمه لصالح أطراف وضد أخرى) (٢ ـ عبد الباسط عبد المعطى ـ ص ١٢٩) .

اهداف الدراسة :

استنادا الى المداخل الثلاثة السابقة يمكن حصر الاهداف التى تسعى الدراسة الى تحقيقها فى هدفين :

الهدف الاول : وينحصر فى محاولة التركيب بين الابعاد التى تؤلف فى مجملها اشكالية الكلية الاجتماعية للمجتمعات العربية التى اثارتها بعض الدراسات الجادة والمعاصرة (*) لهذه المجتمعات فى ضوء مفهوم التجانس النسبى الذى تتبناه الدراسة سعيا الى بناء موقف نظرى ينطلق من خصوصية هذه الكلية يمكننا من تفسير ما تفرزه هذه الخصوصية من نتوءات متعددة يزخر بها عالمه المعاصر .

الهدف الثانى : ويتمثل فى اثارة الانتباه الى أن وحدة الكلية الاجتماعية للمجتمعات العربية ليست ، كما ساد لمراحل طويلة ، وحدة وجدانات وعواطف وانفعالات موقفية يتبلور فيها التوحد ثم يخبو بعد ذلك بانتهاء الموقف ، انما هى وحدة تخلف بمفهومه الشامل ، الامر الذى يتطلب الحوار حول الاستراتيجيات الاساسية التى يتعين اتخاذها لتحويل وحدة التخلف الى وحدة وعى منهجى علمى قومى لمقاتلة التخلف واسبابه ودحض التصورات

(*) (١) دراسة سعد الدين ابراهيم ـ النظام الاجتماعى العربى الجديد ، دراسة من الآثار الاجتماعية للثروة النفطية ، مركز دراسات الوحدة العربية القاهرة ، دار المستقبل العربى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ .

(٢) نادر الفرجانى : هدر الامكانية ، بحث فى مدى تقدم الشعب العربى نحو غاياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥ .

(٣) حليم بركات : المجتمع العربى المعاصر ، بحث استطلاعى اجتماعى ، مركز ابحاث الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٤ .

(٤) سمير أمين : أزمة المجتمع العربى القاهرة ، دار المستقبل العربى ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٥ .

الخاطئة التي علقت بنا كأمة عربية في أذهان الباحثين الاوربيين والامريكيين وسطروها في كتابات منشورة في مختلف أنحاء العالم مؤكدين أن الخلاف والصراع والانفصال والتخلف أحد طبائعنا الاصلية ، وملمح جوهري من ملامح بناء شخصيتنا .

فقد أشار جاك بيرك في مؤلفه (نهضة العرب ، الألم والنشوة) الى أن الواقع العربي يجسد باستمرار حالة من التباين بين ماضي العروبة Arabism المجيد الذي يحترمه أبناؤه وبين ما يعايشونه من سوء حظ واحباطات ومشكلات حادة . ويبرر جاك بيرك هذه الحالة بقوله (ان ذلك الارث الذي خلفته العروبة تولد عن شعوب ما زال اكثرها متخلف) (٣ ـ جاك بيرك ، ص ١) .

ويضيف ايرون اروين ايسنبرج من ناحيته ـ في مؤلفه العالم العربي ـ تصورا آخر مؤداه (أن شعوب البلدان العربية ، رغم التقائها في عدد من العناصر المشتركة كاللغة العربية والدين الاسلامي ، تشكل الانقسامات الحادة والخلافات اللدودة ملمحا اساسيا لها عبر عهودها المختلفة . ويضرب مثلا على ذلك بالصراعات والحروب الاهلية والطائفية الدامية الدائرة في لبنان بين المسيحيين والمسلمين ، بل وبين طوائف المسلمين أنفسهم ، وكذلك حرب الخليج بين العراق وايران والادانات والاتهامات المتبادلة بين كثير من النظم المتجاورة (٤ ـ اروين ايسنبرج ، ص ٤) .

ويرى رفائيل بتاي في مؤلفه العقل العربي ان حالة عدم الوحدة Disunity العربية من أبلغ المؤشرات المعبرة عن الشخصية العربية حتى فيما قبل الاسلام . فعلى كل المستويات كان النزاع والخلاف قائما سواء على نحو فعلي باد للعيان أو كان ينذر بالوقوع . فالعرب يفتنون بالاشكال المثالية ويتمسكون بها عاطفيا ، رغم انهم يدركون أن هذه الاشكال والمثل تتناقض مع الواقع ويبطلها . ويستطرد بتاي مؤكدا أن حالة الخلاف والنزاع تسهم في زرعها في الشخصية الفردية أساليب التربية التي يربى عليها النشيء منذ نعومة أظفارهم داخل الاسرة الواحدة . الامر الذي يمكن القول معه أن البناء الاجتماعي العربي مبرمج لتغذية وتقوية حالة الانعزال داخل الجماعة الواحدة (٥ ـ رفائيل بتاي ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦) .

ومهما يكن من أمر الردود التي يمكن بها تفنيد تلك التصورات السابقة ووجاهتها وموضوعيتها ولزوميتها ، فان ما يعنينا الاشارة اليه في هذا المقام هو أن مثل هذه التصورات غدت تشكل فهم المجتمعات الاخرى عنا ، بل

أخذت تفزو بفعل النقل والترجمات المتعجلة سطور العديد من الكتابات العربية ذاتها ، الامر الذى يعظم من ضرورة تكثيف الدراسات العلمية من قبل المثقفين من ابناء المجتمع العربى للمعاونة على تحقيق الفهم الموضوعى لازمات مجتمعاتنا ونقلها للآخرين ، تصحيحا لكثير من تصوراتهم الهادئة او المتحاملة على حد سواء .

ولما كان انجاز الاهداف لا يتسنى الا من خلال استخدام المنهج فاننا ـ فى هذا الصدد ـ نعتمد على اطارين اساسيين هما :

١ ـ اطار مرجعى Frame of Reference يستثمر الباحث تواجهاته النظرية فى تفسيراته التى يقدمها ويصيغ من خلاله آراءه . وينحصر الاطار المرجعى فى هذه الدراسة الخصوصية البنائية الحضارية للمجتمع العربى كنسق اجتماعى حضارى يمثل كلية اجتماعية تاريخية وثقافية ذات خصائص محددة .

٢ ـ اطار تصورى اى مفهومى Conceptual Scheme يحدد المدركات الاساسية فى بناء المفاهيم التى تشكل فى مجموعها نطاق المعالجة ، وما تستند اليه من توجه معين . ويتالف الاطار المفهومى لهذه الدراسة من عدد من المفاهيم اهمها مفهوم الوحدة ومفهوم التجانس النسبى ومفهوم التخلف ومفهوم التبعية ثم مفهوم الاغتراب .

وسوف نتناول فى الصفحات التالية هذه المفهومات ثم ننتقل الى محاولة وضع صياغة تركيبية للابعاد المختلفة التى تكون اشكالية الكلية الاجتماعية العربية من خلال تحليل بعض الدراسات التى تعرضت لهذه المسالة كشفا للعلاقات العضوية بينها . وسوف يساعدنا انجاز هذا الهدف على محاولة تشخيص معالم موقف نظرى يمكن توظيفه فى تفسير بعض صور الظواهر التى ينشغل بها الراى العام العربى على اصعدته المختلفة.

القسم الثانى

الاطار المفهومى للدراسة

يتناول الاطار المفهومى للدراسة عددا من المفاهيم الاساسية تشكل فى اتصال مضموناتها الاطار التصورى العام الذى يحدد الطريق لمسار

عمليات التفسير . ويمكن التمييز فى هذه الدراسة بين نمطين من المفاهيم : نمط يضم عددا من المفهومات نطلق عليها اسم المفهومات القائدة ، ونخص بها مفهوم الوحدة ومفهوم التجانس النسبى ثم مفهوم الكلية الاجتماعية . ويضم النمط الثانى ما يمكن تسميته بالمفهومات المعاونة أو الداعمة ونخص بها مفهوم التخلف ومفهوم التبعية ومفهوم الاغتراب . وسوف نتناول كلا من هذه المفهومات فى علاقتها ببعضها الآخر انجازا لهدف التواصل والتكامل بين عناصر الاطار المفهومى فى هذه الدراسة .

مفهوما الوحدة والتجانس النسبى :

تسجل الدراسة منذ البداية موقفا من الاستخدام الدارج لمصطلح الوحدة الذى شاع فى كثير من الدراسات التى تناولت المجتمع العربى ، لما ارتبط به استخدامه من مضمون لايستقيم مع معطيات الواقع الاجتماعى الذى يتعامل معه عالم الاجتماع بل ولا يستقيم مع المجتمع المعاصر للمجتمعات العربية ذاتها التى تعكس أبنيتها صورا من التناقض والتباين يأتى على راسها التباين النظامى والسياسى بشكل عام (*) فقد بينت دراسة ميدانية أجراها الدكتور سعد الدين ابراهيم بعنوان (اتجاهات الرأى العام العربى نحو مسالة الوحدة) أن ٣٩٫٨٪ فقط من مجموع المستجيبين أجابوا أن الوطن العربى يشكل أمة واحدة ذات سمات واحدة ، على حين تبلورت اتجاهات باقى المستجيبين (٦٠٫٢٪ حول معنى التمايز والتباين الذى

(*) ويؤكد هذا المنطلق الدكتور سيد عويس فى مقالة بعنوان : « حول موضوع الهوية والتراث » ، وجهة نظر ثقافية اجتماعية مصرية حيث يقول : (لا أرى أبدا أن استثناءا حدا نزيها اذا ما جرى فى الوطن العربى من المحيط الى الخليج حول قضية الوحدة العربية تختار الاغلبية الساحقة من الجماهير دولة الوحدة على الدولة القطرية — لاننى أرى اذا ثبتت هذه النتيجة فان ثبوتها يكون غير موضوعى ، وذلك لانه من الملاحظات أن ثقافات مجتمعات الدول الواقعة من المحيط الى الخليج متباينة من حيث عناصر المنهج التالى :

١ — البعد التاريخى ٢ — مدى استقرار هذه الثقافة واستمرارها ٣ — مدى تعدد مصادر هذه الثقافة وتنوعها ٤ — مدى وجود أو عدم وجود ظاهرة الازدواجية فى هذه الثقافة وعواملها) .

انظر سيد عويس (حول موضوع الهوية والتراث ، وجهة نظر ثقافية اجتماعية مصرية) ورقة منشورة ضمن بحوث ومناقشات ندوة تكنولوجية تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث ، المركز الاقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، المعهد للدراسات العربية والنشر ١٩٨٥ ، ص ٢١٣ .

وانظر أيضا حليم بركات فى مؤلفه المجتمع العربى المعاصر : بحث استطلاعى اجتماعى ، حيث يشير الى ما نصه « أن المجتمع العربى فى الوقت الحاضر مجتمع متنوع حتى التجزئة المحيطة مما يجعله مجتمعا نسيفسائيا أكثر منه تعدديا » . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٠ .

يحول دون انجاز وحدة هذا الوطن ، نظرا لترسب الانتماءات القطرية فى الوجدان العربى (٦ ــ حليم بركات ، ص ٣٥) .

واذا دققنا النظر فى مصطلح الوحـــدة ســـوف نستطيع ان نلحظ انه يتركب من مضمونين **الاول :** ويشير الى التطابق والتماسك **والثانى :** يشير الى التوحد (*) العاطفى حول بعض المثل والغايات . واذا كان البعد الثانى له اثر بارز فى تناول مصطلح الوحـدة ــ وان كان هناك من انتقده كما اشرنا من قبل ــ فان البعـد الاول وان اسـتند تبريريا الى التوجهات الثقافية العقائدية السـائدة ، لا يمكن قبـوله امبريقيا . فقـد اضحى بمثابة الحقائق المستقرة انه اذا كان من المتعذر بل ومن المســتحيل اثبات تطابق تام بين توأمى البويضة الواحـدة ، فانه مما لا جدال فيـه من المستحيل تصور حالة التطابق بين المجتمعات البشرية التـى لا تحتكم الى قوانين الثبات ، انما الى قوانين الحـركة والتحول لمقابلة المســتجدات والمستهدفات التى تفرزها حركتها وتاريخيتها .

ومن ثم فان استخدام مصطلح الوحدة يتعين ان يفصل عن الشـعار السياسى اليوتوبى لبعض الايديولوجيات ، ويرتبط بما يمـكن ان نصطلح عليه بمفهوم « التجانس النسبى ، حيث لا يتضمن هذا المفهوم فى بنائه معنى التوحد بقدر ما يشـير الى تقارب بعض المجتمعات فى عدد من الخصائص الكيفية على وجه الخصـــوص .

وعليه يمكن تقرير ان وحدة الامة « على الرغم من كثافة الآراء والافكار حولها ، فانها بدات تاخذ الآن اتجاها مغايرا تماما ، نظـرا لما توصلت اليه البحوث السيسيولوجية والانثروبولوجية من نتائج ادت الى تفنيد النظريات التجريدية فى النظر الى المجتمعات ، وبرهنت فى نفس الوقت على مخاطئـة اختصار واقع المجتمعات بمجرد تعداد عوامل مجردة تجمع او تفـــرق كاللغـة والديـن ... الخ » .

(*) يعرف دينكن ميتشل مفهوم التوحد او التماسك Consensus بانـــه « التزام الاشخاص بالاحكام والقوانين التى تحدد وتضبط سلوكهم وتوجهه نحو انجاز الاهداف وتوزيع الواجبات والحقوق عليهم بما ينسجم مع النظام الاجتماعى . ويقضى الاتفاق الجماعى بوجود حالة التماسك الاجتماعى بين الافـراد نتيجة وعيهم المشـترك وعواطفهم الواحـدة ومزاياهم المتشـابهة » .

انظر ــ دينكن ميتشل ــ معجم علم الاجتماع ــ تعريب احسان محمد الحسن ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٨١ ، ص ٥٩ .

واتساقا مع المدخل الشمولى الدينامى تاخذ الدراسة بالمنهج الذى يدعو الى تناول المجتمع العربى من خلال تناول التداخل بين عوامل الوحدة والتجزئة فى آن معا ، باعتبار ان هذا المنهج يشكل قاعدة مفهوم التجانس النسبى الذى لا يركن الى معنى التجانس فى مدركات الوحدة بل يركن ايضا الى مدركات التجزئة اللتين تشكلان معا مدخلا تكامليا موضوعيا يتسق مع المدخل الذى ينصب حول رصد المشكلات التى قد يسفر عنها التقاطع بين خصائص الوحدة وخصائص التجزئة فى المجتمع العربى .

مفهوم الكلية الاجتماعية :

وانتقالا الى مفهوم الكلية الاجتماعية يتسنى القول ان هذا المفهوم استعمله هيجل حين اشار الى ان محاولة فهم اى ظاهرة يتعين فهمها بصورة كلية وشاملة ، اى فهم جوهرها الباطنى والظاهرى ، وكل ما يتعلق بها من قريب او بعيد . وقد شاع استخدام هذا المفهوم فى التفسيرات الاجتماعية التى اعتمدتها النظرية البنائية التى تذهب الى ان المجتمعات يمكن اعتبارها انظمة اجتماعية كلية تتكون من اجزاء مترابطة ، ويقوم كل جزء بوظائف اجتماعية تساعد الكل على تحقيق اهدافه فى البقاء (٧ ــ دينكن ميتشيل صفحة ١١٥ ــ ١١٦) .

ويتضح من هذا التعريف أن هذا المفهوم يستند الى رؤيا تركيبية تتجاوز حالة الوصف المورفولوجى والفسيولوجى لعناصر الاطار الاجتماعى وخصائصه ، وهى رؤيا تسعى الى توجيه الانتباه الى ضرورة تحليل الواقع الدينامى والمضمون العلاقى بين اجزاء الاطار المختلفة على اساس من تصوره كشخصية موضوعية لحاصل نقل مضمونات ودلالات الظواهر المختلفة التى تشكله .

وينطلق هذا التصور المفهومى للكلية الاجتماعية من رؤيتنا لعلم الاجتماع ، فهذا العلم وهو يدرس السلوك الاجتماعى ، اى الظاهرة الاجتماعية كما تتمخض عن نمط من انماط التفاعلات الاجتماعية ، وفى اطار مواقف اجتماعية معينة ، لا يقف عند حدود الانشغال بدراسة شكل الظاهرة او التعرف على نمط الوحدات البنائية التى افرزتها وتشخيص ادوارها فى هذا الصدد فحسب ، انما يهتم ــ اساسا ــ بتحليل مضمون هذه الظاهرة وبنيتها سعيا الى استكشاف دلالاتها المتعددة وانعكاساتها على الوحدة البنائية ، ومن ثم تساعد على اثبات نمط خاص من انماط التركيبات الاجتماعية تتساوق معها .

وعليه يمكن أن نقرر تبعا لما تقدم ، أن الكلية الاجتماعية هى حاصل جمع مضمونات ودلالات الظواهـر البنيوية المختلفة ، أو بمعنى أدق نسق مركب من مجموع مضمونات الظواهر ورموزها القائمة ، وهو ما يتعين أن يهتم بتحليله ومتابعة رصده واستشرافه عالم الاجتماع .

ومن ثم فان من أشد مهام الاتجاه الظاهراتى Phenomenological approach القيام بملاحظة ووصف وتحليل ابنية وخواص وابعـاد العلاقات المتبادلة بين الظواهر على النحو الذى يمكن من الامساك بهـا او فهمها ببساطة ممكنة . (٨١ ـ دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعيـة صفحة ٧٠) .

ونستطيع أن نميز خلال رحلة الملاحظة والوصف والتحليل للمضمون أبعاد العلاقات المتبادلة بين الظواهـر التى تشخص الكلية الاجتماعية بين انماط ثلاثة اسـاسية هـى :

أ ـ ظواهر القلب أو المركز (*) وهى تلك التى يتوقف عليها شـكل ومسار بل ومستقبل الكلية الاجتماعية وموقعها على خريطة المجتمعات .

ب ـ ظواهر محيطية ترتبط بالاولى ارتباط رد الفعل بالفعل ، وهـى فى أغلب الاحوال تعد افرازا من افرازات الظواهر النواة او المركز .

جـ ـ ظواهر دارجة لكنها ونظرا للطبيعة الترابطية للظاهرة الاجتماعية، تعد نتاجا متسقا لما ينتجه المناخ والمضـمون لكلا النمطين السابقين من معطيات . ومن ثم تكون ذات طبيعـة خاصـة فى أطار ارتباطها بالنمطين السابقين اللذين يشـكلان ـ عامة ـ خصوصية بنائية وثقافية معينـة .

(*) أول من استخدم تعبيرى المـركز او القلب Center والمحيط او periphery فى الادب الاقتصادى المعاصر راؤول بريبش « الاقتصـادى الارجنتينى الذى كان اول مـكرتير للجنة الاقتصادية لامريكا اللاتينية التابعة للامم المتحدة . وكانت خلاصة هذا التحـليل الذى نشر قبل حوالى اربعين عاما ، ١٩٤٦ هى أن هذا الجـزء من العالم يتكون من مركز للنشـاط الاقتصادى هو الولايات المتحدة الامريكية ، يسيطر ويوجه ويؤثر على أطراف او نخوم ، هى بالذات دول امريكا اللاتينية تتحرك فى فلك ذلك المركـز .

محكومة بحركته متأثرة بها او متجهة دائما لخدمة مصالحه تماما . ولقـد لقى التعبير رواجا كبيرا لدى الاقتصاديين التقدميين والوطنيين فى امريكا اللاتينية الذين انصرفوا لدراسـة ظاهرة التخلف الاقتصادى وتحليلها فى تلك القارة (محمود عبد الفضيل ، الفكر الاقتصـادى العربى ـ بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢) .

ولما كانت المجتمعات تتمايز من حيث معنى مضمونات ودلالات الظواهر فانها تنسج لنفسها قالبا خاصا ، اى دائرة ثقافيـة من نسج هذه المضمونات والدلالات المسـيطرة .

ومن ثم يكون التجانس أو درجتـه بين عناصر الكلـية الاجتماعية للمجتمعات العربية يعتمد بالتالـى على مدى عمق ارتباطها أو معايشـتها لمضمونات هذ القالب أو تلك الدائرة (*) ، وعليه فان الدائرةالثقافيةللكلية الاجتماعية هى خلاصة مضمون معانى ودلالات وخواص الظواهر وآثارها .

مفهوما التخلف والتبعية :

يتعين منذ البداية الاشارة الى انه يصعب الفصل بين معالجة مفهوم التخلف Underdevelopment ومفهوم التبعية Dependency ، خاصة وقد ربطت أغلب الاتجاهات الحديثة فى دراسة حالة التخلف التى يعايشها مجتمع من المجتمعات وبين تبعية هذا المجتمع بشكل أو بآخـر ، وارتباطه بنسق اقتصادى وسياسى مهمين(**) ولعل ذلك ما يفسر رفض المشـتغلين بمسالة التخلف والتنمية باعتبارهما وجهين لعملة واحدة ، فى دول العـالم الثالث ، تفسير ظاهرة الفقر ببلد أنهم من خلال ردها الى أوضاعهم التخلفية Back wordness المزعومة ، انما ردها الى مستوى النمو الاقتصـادى المتـردى الذى لعبت المشروعات الرأسمالية أو الاستعمارية العالمية دورا بالغا فى مجال ترسـيخه .

واذا كان هناك من سبب يمكن أن ترتبط به هـذه الحالة ، فانما هو الحكم الاستعمارى وأشكال الجور التى يمارسها النسق الاقتصادى العالمى على المجتمعات الفقيرة . واذا كانت هناك حلول عدة طرحت لتجاوز حـالة التخلف تلك ، فانها انطلقت من فكرة النموذج أو الارتباط بنموذجالتنمية الذى حققته أوروبا الصناعية وامريكا ، وهو ما أعتبر لونا جديدا من ممارسة

(*) أنظر فى هذا الصدد (الاسباب التى يسوقها الدكتور سعد الدين ابراهيم ويسـتند اليها فى تناوله للوطن العربى بكل اقطاره . وذلك فى مؤلفه النظام الاجتماعى العربى الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ الفصل الخامس ص ١٩٧ — ٢٠٠) .

(**) يكاد يجمع الاقتصاديون من ابناء مجتمعات العالم الثالث على ان السبب الرئيسى للتخلف يرجع الى التبعية الاقتصادية ازاء بلدان المركز الرأسمالى المتقدم ، تلك التبعية التى تجسد جوهر ما يسمى اليوم بالاستعمار الجديد . (أنظر محمود عبد الفضيل : النفط والوحدة العربية — تأثير النفط العربى على مستقبل الوحدة العربية والعلاقات الاقتصـادية العربية ، القاهـرة — دار المستقبل العـربى ، ١٩٨٢ ص ٢٤) .

التبعية الاقتصادية السياسية لدول هذا العالم ، وشكلا من اشكال الاستعمار الجديد الذى لا يأخذ صورة التواجد العسكرى ، انما الهيمنة من بعد على العصب الاقتصادى والسياسى للدول التابعة (٩ ــ جوند ثروب ــ ص ١٢ ــ ١٤) .

وانطلاقا من الاساس السابق حدد التخلف بأنه « عملية تاريخية ينتج عنها هياكل مشوهة فى الاقتصاد ، كما فى اتخاذ القرار وفى البنيان الاجتماعى السياسى » (على نصار ص ١٦) . فقد أنشأت السيطرة الاستعمارية الخارجية ــ على نحو ما يذهب اليه بعض الباحثين ــ فى تقاطعها مع الواقع الاجتماعى المحلى فى البلدان المغلوبة التخلف كنظام لانتاج واعادة انتاج التبعية للخارج .

وهذا يعنى ان « السيطرة / التبعية علاقة متجددة ، تجدد فى ثناياها معالم علاقات الانتاج بين الطرفين المسيطر والتابع » (١١ ــ مجدى حجازى وشادية قناوى صفحة ٦) . ولقد وسع عبد الله العروى من مفهوم التبعية ، سواء كانت ظاهرة أم محتجبة وقرر انها « لا تعنى الاستغلال فقط ، بل تعنى كذلك فقدان الحرية ، وانهيار الاعتداد بالنفس والمصالح المادية لامة من الامم ، والى جانب ذلك كله فهى تعنى استمرارية واستفحال التأخر التاريخى Historical Retardation .

(١٢ ــ عبد الله العروى ، ص ١٥٤) .

ــ واذا كان عبد الله العروى قد وسع من مفهوم التبعية (التخلف) وجعله اكثر شمولا وتركيبا ، فان نادر الفرجانى قد وسع من ناحيته مفهوم التخلف (التبعية) حين نظر اليه من خلال الانسان واقام بينهما علاقة جدلية بالغة الوضوح خضعت وما زالت للكثير من الدراسات فى اطار مبحث التنمية . فقد أعتبر الفرجانى التخلف فى حالة مجتمعية تتسم باهدار الطاقات الكامنة فى البشر على حين ينطوى التقدم على توظيف افضل لهذه الطاقات البشرية لسكان المجتمع والاستفادة منها بكفاءة فى كافة نواحى النشاط فى المجتمع (١٣ ــ نادر الفرجانى ، ص ١٥ ــ ١٦) .

مفهوم الاغتراب :

بذلت محاولات عديدة لتعريف مفهوم الاغتراب من بينها التعريف الذى قدمه كارل ماركس بانه : نمط من الافكار المطلقة الى تنسج عالما خاصا شكليا يقوم على رفض العالم الحقيقى الواقعى ، ويرى أن هذا العالم

المنسوج هو عالم من الانسان واليه ، اى من صنعه وخياله . (١٤ ـ جان . ج ـ كالفرص ٢٧) .

كذلك قدم ارك فروم فى كتابه المجتمع السليم تعريفا لهذا المفهوم حيث ذكر أن الاغتراب هو « تلك الحالة التى لا يشعر فيها الانسان بانه المالك الحقيقى لثرواته وطاقاته ، بل يشعر بانه كائن ضعيف يعتمد كيانه على وجود قوى خارجية لا تمت لذاته بصلة » (١٥ ـ دينكن ميتشل ، صفحة ١٩) .

ولقد بدأ البعد الاجتماعى يأخذ طريقه الى الظهور ، بعد ان غلبت النزعة النفسية على كثير من التفسيرات التى قدمت اليه ، ومن بينها مثلا :

ـ الاغتراب شعور ينتاب الفرد فيجعله غير قادر على تغيير الوضع الاجتماعى الذى يتفاعل معه .

ـ شعور الفرد بانه يجب عدم التصرف بموجب المقاييس المتعارف عليها اجتماعيا واخلاقيا لو اراد تحقيق اهدافه . (١٦ ـ دينكن ميتشيل ، ص ٢٠) .

فقد انصبت الاتجاهات الحديثة فى دراسة الاغتراب حول المستوى الافقى للسلوك الاجتماعى ، اى ذلك المتعلق بالخصائص الجوهرية للتركيب الاجتماعى ، وقد ذهب فى هذا الصدد سمير امين الى الربط بين المدلول الاجتماعى للاغتراب وبين مجموع الافكار التى يؤمن مجتمع بها على انها تحكم هذا المجتمع وتحدد مصيره وتعمل فيه كقوة موضوعية خارجة عنه (١٧ ـ سمير امين ، ص ٢١٢) .

وهنا تتجلى العلاقة بين نمط الشخصية اى نمط التركيبة الاجتماعية حيث يصعب العزل او الفصل بينهما فى مختلف مراحل دورة حياة الانسان ، وقد عبر عن ذلك « اميل دور كايم » حين ذهب الى ان المجتمع يوجد فقط فى عقول الافراد ، ومن ثم فهم يتوحدون مع انساق معاييره الاخلاقية كانساق ثقافية مركبة من عدد من الرموز العامة المشتركة . (١٨ ـ تالكوت بارسونز ، ص ١٩ ، ٢٩) .

ويمكن ان نجمل المشخصات الاساسية لبناء مفهوم الاغتراب الذى تأخذ به الدراسة فى العناصر التى صاغها كل من سيمن وحليم بركات على النحو التالى :

١ ــ الشعور بالعجز ، أى شعور الانسان بعدم القدرة على التأثير فى المواقف الاجتماعية التى يوجد فيها ، والعجز عن استرجاع منتوج أعماله.

٢ ــ الشعور بالفوضى أى شعور الفرد بأن الوسائل الغير شرعية أصبحت هى الطريق الوحيد الذى يمكن من بلوغ أهداف معينة .

٣ ــ الشعور بالعبث أى شعور الفرد بفقدان دلالات سلوكه واعتقاداته وعجزه عن فهم معانى أفعاله وأحداث حياته .

٤ ــ الشعور بالعزلة ، أى فقدان القيم الاساسية .

٥ ــ الاغتراب الذاتى ، أى افتقاد النشاط للحافز للعمل نتيجة للقطيعة بين الاهداف والقيم الاجتماعية . (٢٠ ــ عبد الرازق الداوى ، صفحة ١٩٦ ــ ١٩٧) .

٦ ــ عدم سيطرة المجتمع على موارده ومصيره .

٧ ــ تداعى المجتمع من الداخل حتى ليبدو وكأنه فقد محوره ، فلم يعد يمتلك ارادة وهدفا وخطة .

٨ ــ سيطرة المؤسسات على المجتمع بدلا من سيطرته عليها . (٢١ ــ حليم بركات ، صفحة ١٩) .

القسم الثالث

الابعاد التركيبية لاشكالية الكلية الاجتماعية العربية

انطلاقا من الاطار المفهومى المتقدم نحاول فى هذا القسم القاء الضوء على أهم الابعاد التى اذا حاولنا التركيب بين عناصرها التى سنشير اليها ان نشخص طبيعة وحدود اشكالية الكلية الاجتماعية العربية ، ولسوف نستند فى هذه المحاولة الى ما اسهمت به بعض الكتابات العربية الرصينة التى حاولت رصد اشكاليات المجتمع العربى ، متسقة فى ذلك مع خصوصية البناء الاجتماعى لهذه المجتمعات وتاريخه وظاهراته وتطوره .

وتجدر الاشارة فى هذا المقام الى انه بالامكان أن نميز فى الكم الهائل من الدراسات التى تناولت ابنية المجتمعات العربية بين منطلقات غالبة ثلاثة هى :

الاول ـ منطلق ايديولوجى طبع تناول بنية هذه المجتمعات بتوجه عقائدى مذهبى محدد .

الثانى ـ منطلق فردى وصفى اهتم باستعراض العناصر المختلفة المشتركة بين ابنية هذه المجتمعات ، وبخاصة تلك ذات العلاقة بالهوية للامة العربية .

الثالث ـ منطلق تحليلى وجه اهتمامه الى دراسة واحد أو بعض من اضلاع الثالوث التقليدى رمز الفقر والجهل والمرض .

ورغم ما لهذه الجهود من دور فى اثارة الانتباه باهمية متابعة ما يفرزه هيكل هذه المجتمعات ، باعتباره هيكلا ديناميا متلاقيا ـ متفاعلا مع المتغيرات المحلية والقومية والعالمية العديدة التى تحيط به فان ما يمكن أن يأخذ عليها انفصال كل منها بعضها عن البعض الآخر ، ولم ينطلق احدها مما انتهت اليه غيرها من ملاحظات أو نتائج من ناحية ، كما انها آثرت من ناحية اخرى المعالجة السكونية بتعداد المعطيات الحضارية العامة ، وتتصدر هذه المعطيات القرابة الدينية للاسلام (*) بمعتقداته وآدابه ، وتتلوها القرابة اللغوية للغة العربية لسان الفكر والعقل والعقيدة الاسلامية اساسا **، ثم القرابة التاريخية من حيث قرابة الاحداث والمضمون ،

(*) لقد كان الاسلام روح جميع حركات النهضة واليقظة القومية والمقاومة داخل التركيبة الاجتماعية للمجتمعات العربية ـ سواء أكانت حركات اسلامية معلنة أم حركات سرية بدت فى الشكل اسلامية لكنها من حيث حقيقتها بعيدة عنه . ويعترف كل من المستشرق هاملتون جب وكانتول سميث حيث قالا : (لم تقم فى بلادهم اى حركة وطنية الا كانت الروح الاسلامية اساسها) .

انظر الجندى ، انور : أصول الثقافة العربية ، القاهرة ، دار المعرفة ١٩٧١ ، ص ٢١

(**) يؤكد انور عبد الملك فى مقاله « مدخل الفكر العربى المعاصر » ان اللغة العربية اذا ما طرحنا جانبا اللغة اليونانية والصينية تعد اللغة الوحيدة التى استمرت بنيتها منذ العصور القبلية حتى القرن العشرين ، وتصل بين عدد من الثقافات القومية والاقليمية ، فقد كان لها الاثر الاكبر فى دخول ثقافات شعوب معينة للامبراطورية الاسلامية مثل مصر والمغرب .

Abdel Malek, Anouar : An Introduction Tocrenporan Arab Thought, Paris, Editions Duseuil, 1965, p. 45.

دائـرة
عناصر اشكالية الكلية الاجتماعية العربية

ثم قرابة العقلية والمزاج والنفسية . ونعرض فيما يلى لدائرة اشكالية الكلية الاجتماعية ، من واقع تحليل بعض جوانب المعالجة للمجتمع العربى فى اربعة اعمال ، يمكن القول بانها استطاعت ان تتناول اشكالية المجتمع العربى من منظور الكلية الذى تتبناه الدراسة ، ركزت كل منها على بعد محورى من ابعاد النسق الاجتماعى العربى الكلى ، فقد تناول مؤلف سمير امين بعنوان « ازمة المجتمع العربى » البعد الاقتصادى السياسى للنسق، وتناول سعد الدين ابراهيم فى مؤلفه « النظام الاجتماعى العربى الجديد » البعد الاجتماعى الطبقى ، على حين تناول حليم بركات فى بحثه الاستطلاعى الاجتماعى حول المجتمع العربى المعاصر « البعد القيمى الثقافى ، ويعرض نادر الفرجانى ، من ناحية فى مؤلفه « هدر الامكانية العربية » للبعد البشرى . ونظرة على هذه الابعاد يمكن القول انها تؤلف الاركان الرئيسية فى اى دراسة تحليلية علمية للنسق الاجتماعى .

وجدير بالذكر ، اننا اذا كنا قد انتقينا هذه الابعاد مسقطين ابعادا اخرى فى معالجات هؤلاء الزملاء ، فان مرجع ذلك هو اننا قصدنا تقديم نموذج لمثال اكثر دلالة وقربا فى اتصاله بغيره وتكامله معه ، من حيث مخرجاته بمضمون الاشكالية الاجتماعية على وجه التحديد .

وتوضح الدائرة التالية اركان اشكالية الكلية الاجتماعية العربية وعناصر كل ركن منها ، ثم مخرج التفاعل الدائر بينها كما يتجلى فى الظاهرة التلب (التخلف) والظاهرة المحيطية (التناقض) ثم الظاهرة الدارجة (الاغتراب) على النحو الذى اشرنا اليه فى موقع سابق .

شكل (١) دائرة عناصر اشكالية الكلية الاجتماعية العربية .

ويتبين من الشكل المتقدم ان كل ركن من الاركان الاربعة فى دائرة الاشكالية متصلة ومفضية بعضها الى البعض الآخر ، فاذا كان من الممكن تصور ان اختلال النظام الطبقى الاجتماعى وتشوهه ، على حد تعبير سعد الدين ابراهيم — بما يمثله من صراع اثرياء العرب (بفعل تضاعف اسعار النفط اربع مرات نتيجة لحرب ١٩٧٣) وفقرائهم (الذين تحملوا وما زالوا عبء الدفاع عن الوطن العربى ضد الاخطار التوسعية للاحتلال الاسرائيلى للارض العربية) حول توزيع الثروة الوطنية لرفع الاحساس بالابتزاز من جانب الاثرياء ، والشعور بالظلم والعجز من جانب الفقراء الذين كانوا

فى مرحلة سابقة اغنياء العرب ، وبما يمثله ايضا من تناقض هرمى للثروة والسكان كما هو واضح من الشكل التالى الذى أورده سعد الدين ابراهيم فى مؤلفه السابق الاشارة اليه (٢٢ ـ سعد الدين ابراهيم ، ١٩٧ ـ ٢٥٢) .

شكل (٢) التقسيم الطبقى العربى

وكذلك بما تكشف عنه مؤشرات المكانة الاجتماعية ، التى انتخبها الباحث للتدليل على تناقضات النظام ، وهى مشاركة العمل فى النشاط الاقتصادى ، التعليم ومؤشر فرص الحياة والقوة العسكرية ـ من عدم اتساق وتناقض مع حالة الثروة والفقر داخل المجتمع العربى . يساعد على هدر الامكانية العربية ـ على حد تعبير نادر الفرجانى بمؤشراتها الثلاثة الواردة فى الدائرة ، حيث يتمخض الاختلال الطبقى عن افراز علاقات اجتماعية طبقية ونفسية معتلة تفضى بدورها إلى هدر الامكانية البشرية

باعتبارها طاقة فانه وبنفس المنطق التفاعلى يفضى هدر الامكانية الى حالة الصراع القيمى بين الفئـات الاجتماعية المختلفة ولدى الانسان بين مثـله واهدافه العليا وبين توقعات النظام منه ، والتى اسهب فى تناولها حليم بركات باعتبارها لب اشكالية هذه الدائرة . ومن ثم يمكن القول ، ان هذه الحالة كمخرج لسابقتها تؤدى أو تسـاعد على حالة الديموقراطية الشـكلية التى شخصها سمير امـين فى تخلف مكونات الديموقراطية واساليب ممارستها ، وغياب مضمون الحرية الاقتصادية من زاوية الطبقات الكادحة ، ثم شكلية الاعتراف بالمواطن ذى الحقـوق السياسية (٢٣ ــ سمير امـين صفحات ١٣٨ ــ ١٤١) .

ويمكن ان نتصور هذه العلاقة بين الاركان الاربعة قائمة من اى نقطـة انطلاق يمكن تصورها . ويساعد الرسم التالى على توضيح تواصل عمليـة التفاعل بين اركان الاشكالية حيث كل ركن مدخل ومخرج فى العملية التفاعلية فى الوقت نفسه . ونشير فى هذا الرسم الى الديموقراطية الشكلية برقم (١) ، والى الاختلال الطبقى برقم (٢) ، والى الامكانية المهدرة برقم (٣) ، واخـيرا الى الصراع القيـمى برقم (٤) .

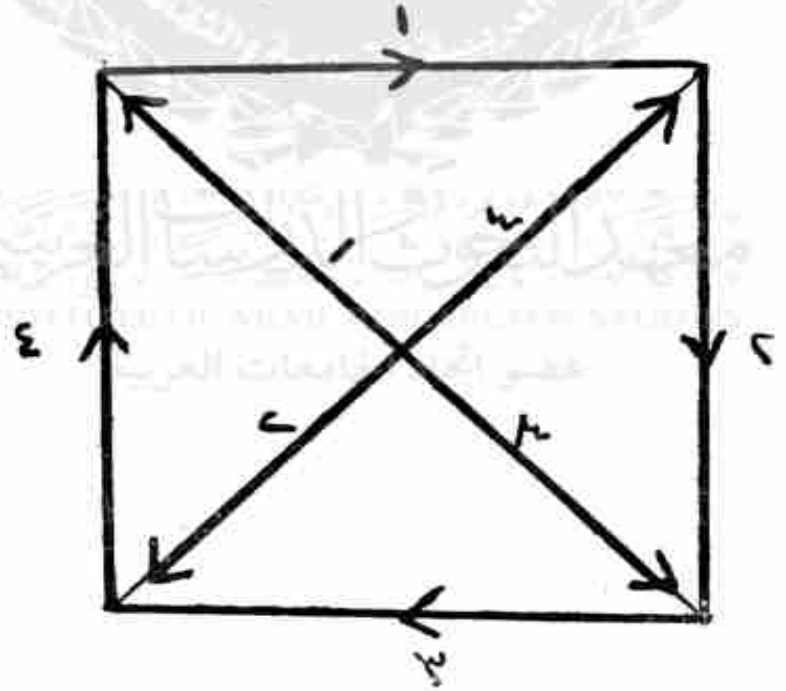

ويتضح من هذا المربع أن عملية التداخل بين المدخل والمخرج عملية قائمة ومستمرة طالما كانت المتغيرات التى تؤدى اليها مستمرة وقائمة ، بحيث يمكن أن نتوقع أن المخرج النهائى لهذه العملية ، كما سيتضح بعد ذلك ؛ يأخذ فى التقلص والضعف اذا ما طرأ تعديل أو تغيير على ركن من الاركان يخرجه عن نطاق الاسباب الفاعلة للاشكالية والمنتمية لها .

وتوضح الدائرة المتقدمة ان هذا التفاعل يفرز أنماطا ثلاثة من الظواهر تعد المخرج النهائى لهذه الاشكالية ، أو بمعنى أدق النقطة التى تلتقى حولها الكلية الاجتماعية العربية فى حالة من حالات التجانس النسبى بين عناصرها (الاقطار العربية) . وكما سبق القول فان هذه الظواهر متصلة بدورها وان تدرجت فيما بينها من حيث كونها ظواهر قلب ، وهى حالة التخلف ، وظواهر محيطية وهى حالة التناقض النظامى الدالة على التخلف ، وظواهر دارجة وهى حالة الاغتراب باعتبارها افرازا مباشرا لحالة التناقض النظامى داخل هذه الكلية المجتمعية .

ونطرح فيما يلى كلا من هذه الحالات على النحو الذى يسهم فى تشخيصها وتوضيحها :

حالة التخلف :

يفرض تناول حالة التخلف التى تجسدها الاركان الاربعة السابقة ، وباعتبارها حالة خارجية وليست سمة أو صفة اصيلة فى طبيعة المجتمع العربى أن نعرض لها من شقين متصلين : شق النمط أو الشكل ، ثم شق المضمون .

الشق الاول ــ خصائص التخلف :

ويستمد نمط تخلف الكلية الاجتماعية العربية طابعه من عدد من الخصائص ابرزها :

أ ــ المتغيرات السلوكية ، وتتجلى فى صور السلوك الاتكالى والسلبى والانعزالى والتشككى والسلفى الى آخر ذلك مما له علاقة بالارث الثقافى العام للانسان العربى ، والقيم الاجتماعية التى جعلت روابطه النفسية محصورة فى دائرة العائلة والمجتمع المحلى أو القبيلة ، كما جعلت روابطه المادية محصورة فى دائرة البيئة الطبيعية المباشرة وعناصرها الاستهلاكية .

ب ــ المتغيرات الاقتصادية وتتمثل فى تواجد هيكل اقتصادى تقليدى زراعى رعوى أفرز وضعية اقتصادية معتلة تمثلت فى اختلال توزيع الثروة والدخول ــ كما أوضحنا من قبل ، ومن ثم توزيع القوة داخل المجتمعات . ولقد أفرزت هذه الوضعية الاقتصادية نمطا معيشيا متدنيا يستند الى ثقافة الفقر والتضخم الاقتصادى ، ومن ثم سيادة صورة الاستغلال والجشع والمغالاة والرشوة الى آخر ذلك من صور .

ج ــ المتغيرات الادارية ، وتتسم الادارة العامة فى مجمل المجتمعات العربية بأغلب مساوىء النمو الطفيلى غير العادى فى جهاز موظفى الادارة العامة ، واستغلال الوظيفة العامة فى تحقيق امتيازات ومكاسب شخصية ، وانخفاض مستوى أداء الخدمة العامة .. الخ . ومن ثم تفتقد الادارة فى هذه المجتمعات الى خصائص الاستقرار والموضوعية والكفاءة الفنية والخيال النسبى .

واذا أضفنا الى المتغيرات السابقة عددا آخر من الابعاد ومن بينها امية القراءة والكتابة ، والامية الوظيفية ، وامية الوعى ، وسيطرة القبلية والقطرية ، وهرمية العلاقات وفئويتها ليتبين اننا أمام نمط نوعى لكلية اجتماعية ترتبط مباشرة بالتخلف . ولقد أفضى ذلك بالعديد من الباحثين العرب (*) الى تأكيد هذه الحقيقة فى معالجتهم لاشكالية التخلف باعتبارها المشكلة المحور ، أى التى يتعذر تفسير أية مشكلة من مشكلات هذه الكلية دون الرجوع الى حالة التخلف كاطار اساسى للتفسير .

(*) انظر فى هذا السدد :

١ ــ سمير أمين : أزمة المجتمع العربى ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ١٩٨٥ ، ص ٩ وما بعدها .

٢ ــ على نصار : الامكانات العربية اعادة نظر وتقويم فى ضوء تنمية بديلة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢٠٠ .

٣ ــ حليم بركات : المجتمع العربى المعاصر : بحث استطلاعى اجتماعى ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٤ ، ص ١٨ ــ ١٩ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٣٣ وما بعدها .

٤ ــ نادر الفرجانى : هدر الامكانية العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٥ ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ .

الشق الثانى ـ مضمون التخلف :

واذا كان الشق الاول يمثل الواجهة المباشرة لحال التخلف كما تتبدى ـ الى حـد ما ـ فى صورة استاتيكية ، فان الشق الثانى الخاص بمضمون هذه الظاهرة يشكل المواجهة غير المباشرة والاجدر بالتحليل والدراسة .

فقد خبرت الكلية الاجتماعية العربية ، وبدرجات والـوان متباينة ، عوامل مشتركة انتجت هذه الحالة اهمها الاستعمار العالمى المتخلف معجماعة الصفوة والقوة السياسية المهيمنة والمتوارثة . ومن ثم غذى مضمون حالة التخلف مزيدا من التبعية ، ومزيدا من الاندحار للذات القومية ، وكذا مزيدا من التفتيت والتضييع لرموز الاصالة الحضارية ، وخلق سيكولوجية خاضعة ووعيا زائفا ، وتدعيم الشعور بأن حالة التخلف القائمة حالة اصيلة وطبيعية فى تكويننا الاجتماعى والحضـــارى .

ان اشكالية هذه الحالة تمثلت فى اختلاطها بقيم ومضمونات سلوكيات شرائح عريضة من ابناء مجتمعات هذه الكلية بل وبالمثقفين منهم بفعل عوامل التعمية والتزييف والمبالغة التى يتعرضون لها .

حـالة التنـاقض :

يرتبط التخلف ارتباطا مباشرا بحالة التناقض ، اذ ان هذه الاخـيرة عرض من اعراض التخلف تتولد عنها . ويمكن حصر التناقض فى ثلاث صور:

١ ـ التناقض الطبقى ٢ ـ التناقض النظامى ٣ ـ التناقض الثقافى .

فقد اوضحنا ان حالة التخلف افرزت كلية اجتماعية تعمل على تعميق هوة التطور الاجتماعى والتطور السياسى ، الامر الذى يجعل ما يحصـله المجتمع من نمو اقتصادى او ثقافى عاجزا عن تحقيق تغيير نوعى فى شـبكة العلاقات الهرمية القائمة . ويتولد وسط مناخ هذه الهوة حالة من التناقض الطبقى تتجلى فى عدد من المؤشرات المعوقة لحالة الهوة وهى :

١ ـ تناقض الوضـع : فعلى حين أن الاغلبية الشعبية هى صانعـة التاريخ والتقدم بل وحافظة مبادئه ومثله ، تحتـل وضعا اجتماعيا متدنيـا مناقضا لدورها الحضارى بالنظر لوضع صفوة القوة والـثروة التى تعيش على حساب قوة وعمـل الاغلبية الشعبية . ومن ثم يكون الوضـع مقلوبا متناقضا يتمثل فى تناقض التوقعات المستهدفة لدور كل من الاغبلية الشعبية وجمـاعة الصـفوة .

٢ ـ **تناقض توقعات الدور** : فعلى حين يتعين أن تكون توقعات الدور المرتبطة بوضع جماعة الصفوة ، باعتبارها الممسكة بأسباب القوة والقائمة على تعريف حاجات الجماهير ، اكثر نضوجا ووعيا بمسئولياتها نحو القطاعات الشعبية فانها لا تلتزم بتوقعات الجماهير من دورها وما تتوسمه فيها من نضج ووعى ، الامر الذى يقوض الثقة ويقيم نمطا من انماط التوجس والخوف مما تقدم عليه من اجراءات .

٣ ـ **تناقض الانتماء** : ويتجلى تناقض الانتماء فى امرين ، درجة الانتماء ، واتجاه الانتماء .

ونقصد بالانتماء المعايشة الواعية الفعلية ، والتمثل الجاد لصور وقيم النضال الحقيقية التى يخوضها المجتمع ، وهنا نلحظ ان جماعة الصفوة يتميز سلوكها باللانتماء لتطلعات الجماهير او للحس الشعبى منفصلة عن اهداف العقل الجمعى الذى يوجد بين تطلعات الجماهير . ان انتماء الصفوة للجماهير انتماء صورى للمحافظة على استمرار اسباب القوة والحكم ، ومن ثم فهو انتماء مزيف يستقط خداعه وتضليله فيما يقدم لجماهير المجتمع من تفسيرات وتبريرات لما حولها من ازمات وما يرفع من واجهات مخدرة عاجزة عن الانجاز . اما انتماء الجماهير فهو ليس انتماءا لمصالحها فى الدرجة الاولى كما هو الحال بالنسبة لانتماء الصفوة ، انما هو انتماء للتكافؤ ، ولاعادة انتاج علاقات اجتماعية انتاجية لا تقوم على مفهوم الغلبه والهيمنة وانما على مفهوم انجاز مستقبل اجتماعى عادل .

ومن الجلى انه فى ظل مثل هذه الحالة التناقضية النظامية ، اى تناقض النظام مع نفسه ، اى مع ما يعلنه من اهداف وما ينجزه او يحققه منها ، وتناقض النظام مع غيره من النظم فى اطار القضايا القومية الحيوية ، « يتحول الانسان الى كائن عاجز ، مسحوق تحت اثقال حاجاته اليومية يعيش على هامش وجوده هو بالذات ونشاطاته واهتماماته ، بدلا من العيش فى صميمها ، تحتل الاشياء حياته فيفكر انما ليس بنفسه ، ويشعر انما ليس بوجوده ويحقق انما لغيره ، ويقيم علاقات انما محبطة مذلة . ان الانسان العربى ـ بذلك ـ يعيش على الهامش وليس فى صميم الوجود مهدد باستمرار باحتمالات السقوط فريسة (٢٤ ـ حليم بركات صفحة ٤٥٩) .

ويتجلى التناقض او الصراع القيمى الثقافى ، كما اسلفنا الاشارة ، فى عدد من المؤشرات تمتزج بعضها بالبعض ، ومن ابرزها الهوة الثقافية Cultural Lag الناشئة عن الاختلاف او التباين بين درجة التطور

أو النمو فى عنصر الثقافة المـادى واللامادى ، اى النمو غير المتكافىء حيث يتخلف نمو عناصر الثقافة اللامادية عن ملاحقة نمو أو تقدم عناصر الثقافة المادية . واذا كان هناك من تبرير موضوعى لهذة الحالة فى اطار الكليـة الاجتماعية ، فانما يمكن ردها الى غياب ثقافة فكر نابه علمى متحرر من كل الرواسب والتوهمات الفاسـدة الخاطئة التى شـوهت عناصر ثقافتنـا العربية الاسلامية الاصيلة ، بل وشوهت العقل العربى فى تفسيره وفهمه لما تتضمنه هذه العناصر من فكر تحررى استنهاضى علمى وتقدمى . ومن هذا المنطلق اصبح من الضرورى التعرف على فهم الناس للتراث ، والتأكيد على أن تناول التراث يتعين أن ينطلق من فهم الحاضر للماضى ، واعادة انتاجه عنصرا حيا متلائما مع الواقع . وفى هذه الحالة يمكن « أن يكـون التراث موقفا معـاصرا من مشـكلات معـاصرة » (٢٥ ـ فـؤاد مرسى صـفحة ٢٩) .

واذا حاولنا أن نعدد الامثلة على مبلغ التناقض الثقافى الذى تحفل به حياتنا فى مجتمعنا العربى ، لضـاق أى مجـال عن استيعابه ، حتى لقـد اضحى هذا التناقض سمة غازية للمناطق التى يعرفها علماء الانثروبولوجيا والاجتماع ، بانها مناطق متجانسة ثقافية وملتقة انساقها الثقافية الخاصة . وقد اسفر ذلك التناقض عن هز صور السلوك وبحث دائب عن الهوية .

فالفرد يقود السيارة دون اكتراث بآداب وقواعد القيادة والمرور ، وتعايش الاسرة نمطا أوربيا ماديا فى زى افرادها وادواتها التى تستخدمها ومع ذلك لاتكترث باستيعاب القيم المتطـورة التى ترشـد نمـط استهلاكها ونفقاتها ، كما يدخل المجتمع الحديث اساليب التكنولوجيا المتقدمة فى ادارته ومصانعه وهيئاته دون أن يضع أولا أهمية الحاجة الى بناء وتعديل ميـول الانسان واتجاهاته القيمية فى اتصاله بهذه التكنولوجيا المتطورة .

اضف الى ذلك تعدد الاجيال أو البناءات الثقافية داخـل الوحـدة البنائية الواحدة وصراعها . وينشأ هذا الصراع فى الغالب بين الاجيـال الثقافية ، اى بين الجديد والقديم بايهما نأخذ أو نسير ، وهنا ظهرت الدعوة الى الاصالة والمعاصرة ، الدعوة الى التجديد ، الى غير ذلك من قضايا . فهناك من يتشبث برموز واصالة الماضى وقيمه والدعوة الى احيائه ، وهناك من يناهض هـذه الدعـوة بين كثير من المفكرين والعلماء فى ميدان التاريخ والفلسفة والاقتصاد والاجتماع ، فقـد أعلن عبد الكريم الخطيبى صراحة انه يحب أن نقطع كل صلة بالمحاولة السقيمة المترتبة على تقديس التراث ، تلك الحجة التى تسعى الى تعمية الوعى النقدى عن طريق عودة وهميـة الى مجد غابر وحنين تكوصى . (٢٦ ـ عبد الكريم الخطيبى ، صفحة ١٢) .

ويتجلى الصراع الثقافى (الايديولوجى) فى اطار المواقف من القضية الواحدة . وعلى سبيل المثال قضية التطبيق الاشتراكى وقضية التكامل الاقتصادى . وتتجلى النتيجة المباشرة لذلك فى عدم التوصل الى قدر مقبول من وضوح الرؤيا المشتركة حول هذه القضايا . ويعد المسئول الاول عن هذه الحالة الغطاءات الايديولوجية الاقليمية المتناقضة والمتصارعة فى المجتمعات العربية .

حالة الاغتراب :

عندما نتناول حالة الاغتراب باعتبارها منتجا لحالة التناقض السابقة والتى تعد دالة على التخلف ومنتجا له ، فاننا نتناول على وجه التحديد الشخصية العربية التى فقدت الثقة فى قدرة قياداتها على تحقيق مستهدفاتها فى حياة عادلة آمنة وكريمة . ومن ثم يتعذر الفصل بين بناء الشخصية الاجتماعية وبين هيكل الكلية الاجتماعية العربية وواقعها . فقد اكدت بحوث علم الانسان وعلم الاجتماع « أن فهم الشخصية الاجتماعية معزولة عن طبيعة ابنيتها الاجتماعية من قبيل الجهود التى لا معنى لها ، فقد اضحى من الثابت ان الشخصية الاجتماعية يمكن الاستدلال منها على طبيعة البناء الاجتماعى ، كما أن البناء الاجتماعى يمكن الاستدلال منه على المتغيرات الاساسية التى تصوغ شخصيات ابنائه . وعليه يمكن رؤية البناء الاجتماعى ،وتقريرنمطه ومشكلته من اطار الشخصية الاجتماعية ، وتعد دراسة أميل دور كايم عن الانتحار فى أوربا خير نموذج يوضح العلاقة والتداخل بين نمط الشخصية ونمط البناء الاجتماعى وكذلك دراسة آرك فروم عن الحرية » . (٢٧ – اليكس نكلز ، صفحة ٤) .

ولقد اكد بعض الباحثين على العلاقة بين الاغتراب وبين مفهوم الوعى الموهوم أو بمعنى ادق الوعى المزيف Fausse Conscience ويرتبط الوعى المزيف فى علم النفس بالتقمص النفسى ، وهو فى حقيقته ليس شكلا من اشكال الهروب بالنسبة للانسان الضعيف وكينونة له فوق الوجود المادى وانتصار له على الواقع . ويؤخذ دليل على تدهور الشخصية ونوع من الاستسلام واعتزال الملكات الناقده عنده ، وكذا اعتزاله لمسئولياته الشخصية (٢٨ – جابل ، ص ٧) . وقد اكد « الحبابى » من ناحية اخرى على العلاقة بين الاغتراب ، باعتباره واقعا انسانيا مزدوجا وبين الحضارة الحديثة التى تميل لنصرة التقنيات على المظاهر الانسانية لحياتنا ، وهى بذلك تعيق الكائن البشرى عن أن يتحرر ويتجاوز ذاته ، اى انها حالت بينه وبين شخصه (٢٩ ــ الحبابى ، صفحة ٥ و ٦٦) . وقد وعت محاولات اخرى حقيقة

العلاقة بين الاغتراب والاستعمار وهى التى ربطت بين ظاهرة الاغتراب وبين علاقة المستعمر بالمستعمر . وتحمل هذه العلاقة المظاهر الاغترابية التاليـــة :

١ ـ الاغتراب العنصـرى :

وهو المنطلق الرئيسى الذى يبرر به المستعمر امتيازاته ، ويتخذ من متولة تفوقة العرقى وتقدمه المادى حجة لتبرير الاستغلال والسيطرة .

٢ ـ الاســـــتغلال :

لا يعير المستعمر ادنى اهتمام لشخصية المستعمر ولظـروفه ، ذلك ان همه الاوحد أن يغرس فيها الشعور بالدونية ، ويخضعه لتغيير يجعل منه فى النهاية اداة طيعة الاســـتغلال .

٣ ـ هوية المســتعمر :

ويترك المستعمر فى الموضوعية الاستعمارية على هامش الاحداث فهو لا يحيى التاريخ الا كموضوع ، وتستلب منه شخصيته التاريخية تدريجيـا بعملية محو تدريجى لذاكرته الثقافية . ويتجلى محـو شخصية المستعمر ايضـا فى الاغتراب اللغوى الذى يتمثل فى ازدواجية لغوية من نوع خاص لاتعنى امتلاك اداتين للعمل بل المشاركة فى عالمين مختلفين نسبيا وحضاريا . ولقد ترتب على ذلك أن ظهر بين ابناء اللغة الواحدة نزعة الى التقليل من شـأن لغتهم (٣٠ ـ من ، صفحة ١١٧) .

ويؤكد « فرانز فانون » أن كل المستعمرين يخضعون فى الوضـــع الاستعمارى المباشر للظروف الاقتصادية والعنصرية للاغتراب . بيـد أن مظاهر هذا الاغتراب تختلف حسب الفئات الاجتماعية للمستعمرين ، فهـى عند الفئة الصفوة من المستعمرين تتجلى فى الاعجاب بثقافة المستعمر يصل الى درجة الاحتكار والتنكر لجنسهم وقومهم ومحاولة فاشلة لتقمص شخصية الاجنبى . وتتجلى عند الاغلبية الساحقة مـن المســتعمرين فى الاحساس بالضآلة امام الآخر القوى ، وبالاحتقار الذاتى امام جنس آخر وحضـــارة تعتبر نفسها راقية (٣١ الداوى ، صفحة ٧٥) .

ولقد قام جاك بيرك بعقد مقارنة بين الاغتراب الذى يعانى منه العامل الاوربى فى بلده تحت وطأة النظام الراسمالى وبين الاغتراب فى الوضـــع الاستعمارى . وقد خلص من مقارنته الى تقـرير أنه اذا كانت ظاهـــرة

الاغتراب تحدث فى كلا الحالين واذا كان الانسان فى الوضع الاستعمارى يعانى منها بكيفية اشد واعمق من معاناة العامل الاوربى ، فان ذلك يرجع الى كون هذه الظاهرة تؤثر على طبيعة وثقافة كل منهما بكيفية مختلفة . فالعامل الاوربى يشعر بانتمائه للمحيط الصناعى الذى ينمو ويتطور من حوله، كما انه يشارك فى الخلق الصناعى ، واحيانا فى الاكتشافات مما يجعله عنصرا فعالا وواعيا فى تغيير العالم ، ويحدث عكس هذا تماما مع المواطن فى الوضع الاستعمارى . ان اغترابه وتشيؤه ومحو شخصيته يبلغ حدا يمكن وصفه بأنه مطلق ، انه ينتزع من طبيعته وثقافتهوتحتقر لغته ، ان المواطن فى الوضع الاستعمارى يغترب فى انسانيته وطبيعته ، فهو بالنسبة للمستعمر بدائى ، لان ثقافته محتقرة ، او لانه ليس سوى موضوع لثقافة الآخرين (٣١ ــ بيرك ، صفحة ١١٧) .

توضح المواقف المتعددة من مفهوم الاغتراب ان هناك شبه اتفاق حول مضمونه كاشكالية وان اختلفت طريقة التعبير عنها والصياغات اللغوية التى صيغ فيها . ويمكن تفرير ان ربط اشكالية الاغتراب بالاستعمار من اكثر المحاولات ملاءمة مع مفهومنا لاشكالية الكلية الاجتماعية للمجتمعات العربية بابعادها الثلاثة التى تناولناها .

واذا كان الاغتراب حالة عامة خبرتها البشرية بدرجات وباشكال مختلفة ابان مراحل تطورها ونموها وبخاصة فى العصر الحديث بفعل التصنيع والآلية الحادة والجشع المادى الشديد ، واعتبار تراكم راس المال هو هدف الاهداف فانها فى ارتباطها بكلية المجتمعات العربية تعود اساسا الى الاستعمار العالمى والمحلى بكل مخلفاته ورواسبه النفسية والاجتماعية والثقافية .

ولا غرو ان حالة التمزق والقلق وصور الرفض واللامبالاة وعدم الثقة فى الاتساق القائمة والاحساس بخيبة الامل فيما يمكن ان تحققه ، قاد اليها عمليات التمويه والتزييف والقهر التى يخضع لها الانسان العربى فى مواقع عديدة ، وهى عمليات التخلف الاستعمارى العالمى القائم .

واذا كانت هذه الصور الاغترابية تسم الشخصية الاجتماعية للفرد فانها تسم بالتالى البناء الاجتماعى للمجتمع حيثتجعله عاجزا عنتحديد مسار حركته بنفسه ، وعن تحديد اهدافه وتطلعاته بارادته ، ويستشعر معالم القوة فى امكاناته الكامنة بداخله ، فهو فى حاجة دائما لمساندة انساق اخرى له ، وهى استعمارية فى اغلب الاحيان ، لانها ليست انساقا من نفس دائرته الثقافية .

واذا كانت وحدة التجانس النسبى للكلية الاجتماعية للمجتمعات العربية هى وحدة اشكاليات تفرز بيئة اجتماعية ذات طابع وتحديات خاصة بها ، فان ذلك يفرض وبالضرورة ان يكون هناك تجانس نسبى آخر فيما بينها من حيث وحدة الحل ووحدة الطريقة فى التصدى لهذه الاشكاليات .

القسم الرابع

وقفة اساسية

اثارت الدراسة فيما تقدم دعوة الى ضرورة وحدة تجانس فى استراتيجية لمواجهة ظواهر تخلف الكلية العربية التى افرزتها عملية التفاعل بين الآثار المختلفة لاركان الاشكالية التى اشرنا اليها . ولا جدال فى ان هذه الدعوة تحتمها وحدة التجانس فى الاشكالية حتى وان بدت بدرجات مختلفة فى كل قطر من الاقطار العربية . وما من شك ان ساحة التبارى بطرح الاستراتيجيات تحولت من محاولة تحقيق خطوة نحو التقدم ، الى تحقيق خطوات للخلف بسبب حملات التشكيك المتبادلة والادانة بعمالتها ، حتى بلغ موقف التقاطع بين هذه الاستراتيجيات مبلغا قوض الاتجاه نحو امكانية تحقيق وحدة العمل العربى المشترك .

وانطلاقا من هذه الظاهرة يكون التساؤل الذى يفرض نفسه وماذا بعد هذا الواقع ؟ . ما هو المدخل الذى يمكن ان يحقق ولو ادنى قدر من الاتفاق حول اسلوب المواجهة المشتركة الذى يقتضيه العمل العربى نحو الانعتاق من الاختناقات التى تصيب الانسان العربى بفعل واقع ابنيته الاجتماعية؟.

وتتبنى الدراسة مدخلا ثقافيا لارتباطه بصميم البنية العقائدية والقيمية التى تحكم العقل العربى والسياسة العربية المجتمعية بكاملها . ويقوم هذا المدخل على الدعوة ـ بل وتاكيدها باستمرار الى مفهوم جديد لثقافة فكر ، ثقافة ترفض التقولب الضيق المحدود ، وتسعى الى التطلع لما خلف الاسوار . ومن ثم فهى نبت يزرع ويسقى ، ويتوقف على مبلغ رعايته وسقايته،وصنع المناخ الملائم له مبلغ نمائه ونضوجه . هى ضرب من الوعى المعافى ، ومن الضرورى له ان يظل يتغذى بروافد من الجدة ، ويتذكر الثراء المركب المتوفر فى العالم الخارجى .

ويمكن القول ان هذه الثقافة تعبر عن نفسها فى رؤية بانوارمية للواقع ومسار الاشياء ، ثم امتصاص كل ذلك واستجلابه فى صيغة جديدة لا تلامس مجرد ارض الواقع الاجتماعى انما تصير ترجمته الواعية الشمولية الدقيقة. ان ما يميز عقل الانسان عن الكائنات الاخرى هى تلك القدرة على الفهم والنظر الشمولى الواقعى للاشياء ، وتقديم صيغ جديدة ومبتكرة دائما ، مستلهمة منهجا علميا يجسد علاقة الانسان بمجتمعه ، ويحسم — باستقراء التاريخ — صور التفسير والتبرير لهذه العلاقة ، ومشكلة موقفا من كل صور الارث الظالمة التى تعوق اسقاط الرؤية العلمية على الاشياء .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

المصـــــادر تبعـــــا لورودها فى الدراســـة

١ ــ قنصوة،صلاح « **الواقع والمثال ــ مساهمة فى نقد الفـــكر المصرى فى الثمانينات** » ، فى بحوث ومناقشات ندوة تكنولوجيا تنمية المجتـمع العربى فى ضوء الهوية والتراث ، اليونكسو ، المركز الاقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥ .

٢ ــ عبد المعطى ، عبد الباسـط ــ « **فى بعض قضـايا التـــراث رؤية** سيسولوجية » ، فى بحوث ومناقشات ندوة تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث . المصدر الســابق .

٣ ــ Berque : **Arab Rebirth : Pain and Ecstasy,** Trans. By Hoare, Quintin, London, Al Saqi Books, 1983.

٤ ــ Isenberg, Irwin (editor) : **The Arab World,** N.Y., The H.W. Wilson Co., 1976.

٥ ــ Patai, Raphael : **The Arab Mind,** N.Y., Charles Scribner's Sons, 1983.

٦ ــ بركات ، حليم ــ **المجتمع العربى المعاصر ، بحث استطلاعى اجتماعى،** بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤ .

٧ ــ بيتشيل ، دينان ــ **معجم علم الاجتماع** ، ترجمة احسان عبد المحسن، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٨١ .

٨ ــ Sills, David L. : **International Encyclopedia of the Social Sciences,** Vol. 12, N.Y, The MacMillan Co, & The Free Press, 1968.

٩ ــ Goldthrope, J.E. : **The Sociology of the Third World Disparity and Development N.Y.,** Cambridge University Press, Second Edition, 1984.

١٠ ــ نصار ، على ــ **الامكانات العربية ، اعادة نظر وتقويم فى ضوء تنمية بديلة ،** مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ .

١١ ــ حجازى ، احمد مجدى ، وقناوى ، شادية على ــ « **التنمية ومشكلات التخلف فى المجتمع المصرى** » ، القاهرة : دار الكتاب للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ .

١٢ ـ Laroui, Abdallah : **The Crisis of the Arab Intellectual, Traditionalism of Historicism,** Trans. Cammell, Diarmid, Berkeley, Unversity of California Press, 1976.

١٣ ـ الجرجانى ، نادر ـ « **هدر الامكانية** » ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٥ .

١٤ ـ Calver, Jean Calver : **La Pensée De Karl Marx,** Faris, Editions du Seuil, 1970.

١٥ ـ ميتشيل ، دينكن ـ « **معجم علم الاجتماع** » ، مصدر سابق .

١٦ ـ ميتشيل ، دينكن ـ « **معجم علم الاجتماع** » ، مصدر سابق .

١٧ ـ امين ، سمير ـ **أزمة المجتمع العربى** ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٥ .

١٨ ـ Parsons, Talcott : Social Structure and Personality, N.Y., The Flee Press, 1970,

١٩ ـ الداوى ، عبد الرازق ـ « **نظرية الاستلاب : بعض مظاهر الاستلاب فى الفكر المعاصر** » ، الرباط ، ١٩٧٧ .

٢٠ ـ بركات ، حليم ـ مصدر سابق .

٢١ ـ ابراهيم ، سعد الدين ـ **للنظام الاجتماعى العربى الجديد دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٢ .

٢٢ ـ امين ، سمير ـ مصدر سابق .

٢٣ ـ بركات ، حليم ـ مصدر سابق .

٢٤ ـ مرسى ، فؤاد ـ « **علاقة الهوية والتراث بالتشكيلة الاجتماعية الاقتصادية فى العالم العربى ـ مقدمة نظرية** » ، فى بحوث ومناقشات ندوة تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث ، مصدر سابق .

٢٥ ـ الخطيبى ، عبد الكريم ـ « **سسيولوجيا العالم العربى** » فى المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع ، العدد الاول ، الرباط ، ١٩٧٤ .

٢٦ ـ Inkeles, Alex : **«Personality and Social Structure»,** In Parsons, Talcort, (editor) — Knohwledge and Society, N.Y, The Free Press, 1973.

٢٧ ـ Gabel, Joseph : **Sociologie De L'Alienation,** Paris Presses Universitées De France, 1970.

٢٨ ـ الحبابى ، محمد عزيز ـ « **من المنغلق الى المنفتح عشرون حديثا عن الثقافات القومية والحضارة الانسانية** ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ .

٢٩ ـ Memi, A. : **L'Homme Domine,** Paris, Gallimard Seuil, 1964.

٣٠ ـ Berque, J. : **De Possession Du Monde** Paris, Editions du Seuil, 1964.

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية